المحاضرة الأولى : جغرافية المدينة وأوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية

تأتي المدينة (يثرب) بعد مكة في الأهمية بالنسبة لمدن الحجاز وهي تقع إلى الشمال من مكة على مسافة تقدر بحدود 300 ميل تقريباً. لقد تألف سكان المدينة عند هجرة الرسول () إليها من العرب واليهود وكان معظم العرب من أبناء قبيلتي الأوس والخزرج أما اليهود فهم يهود بنو النضير وبنو قريظة وكانوا يعملون في الزراعة وبنو قينقاع احترف بعضهم الحرف اليدوية وتعاطي التجارة.

سكن المدينة منذ القرن الخامس الميلادي نفس المجموعات السكانية التي شهدت ظهور الإسلام وقيام الدولة العربية الإسلامية إذ أن اليهود كانوا أقدم عهداً في الاستقرار من الأوس والخزرج مما أتاح لهم فرصة تملك أفضل الأراضي الزراعية واستثمارها لذا اضطر الأوس والخزرج منذ البداية إلى التحالف مع اليهود والعمل في مزارعهم لكن شعور الأوس والخزرج بالاستغلال والغبن وبالتالي حدوث المنازعات بينهم والتي انتهت بتغلب الأوس والخزرج بعد تغلبهم عليهم واضطروهم أن يدخلوا في معاهدات وتحالفات في حمايتهم قاموا بإنشاء سلطة سياسية تمكنهم من تنظيم أنفسهم وإدارة شؤون المدينة كما فعل أهل مكة إلا أنهم لم ينجحوا في تحقيق هذا الهدف لأنهم لم ينتموا إلى قبيلة واحدة حيث كان انتمائهم إلى 5 قبائل اثنان من العرب وثلاث من اليهود وكان طابع العلاقة بينهم هو فقدان الثقة فقد عمدت كل عشيرة إلى العيش بصورة منفصلة في بطن خاص بها وكان زعيم كل عشيرة يشيد لنفسه قلاعاً للاستفادة منها في تخزين المؤن والأعتدة الحربية واستخدامها في أوقات الحروب وكانت الحصون تدعى الاطام ومفردها الاطم، وأن هذا الواقع لم يسمح لأهل المدينة بتطوير الحياة في مدينتهم لتغدو كتلة متماسكة من حيث العمران والسكان حيث بقيت الأحياء متناثرة ومتباعدة عن بعضها البعض تفصل بينها مساحات واسعة من الأراضي الزراعية حيث كانت المدينة أقرب إلى قرى متقاربة فـأطلق عليها وصف أهل القرى وجميع هذه الأسباب أدت إلى فشل أهل المدينة من تكوين نظام على غرار نظام أهل مكة على الرغم من أن عددهم كان أكثر وأرضهم كانت خصبة أكثر وأيضاً تمتاز بتدفق الماء.

وكان سكان المدينة من قبيلتي الأوس والخزرج يعملون بمجال الزراعة التي تتمثل بصورة رئيسية بزراعة النخيل فضلاً عن زراعة الشعير وقاموا باستيراد الحنطة والباقلاء والسمسم. وظهرت بعض الصناعات المنزلية كالغزل والنسيج والخياطة وكذلك حرف التجارة والحدادة والصياغة وكذلك عرفوا النشاط التجاري إلا أن تجارتهم لم تكن واسعة أو أنها لم تكن بنفس مستوى النشاط التجاري لمكة، وقد عرفوا العقود التجارية من بيع وإيجار ورهن ومضاربة وكذلك عرفوا الوزن والمكاييل وكانت وحداتها الأساسية هي: [ المد، الصاع، الرطل، والوسق] وأيضاً عرفوا الصرافة والإقراض بالربا.

كان أهل المدينة قبل الإسلام يتكلمون اللغة العربية الفصحى شأنهم شأن بقية القبائل العربية في الحجاز وذلك لأن اللغة الفصحى قد انتشرت في معظم جهات شبه الجزيرة العربية ولم توجد عقبات لغوية لدى المهاجرين إلى المدينة في عصر الرسالة وذلك لاكتساب أهل المدينة للغة عرب الحجاز بسبب طول إقامتهم في المدينة.

وأن أحبار اليهود كانوا يقرأون التوراة باللغة العبرية ويفسروها لعامة الناس باللغة العربية مما يدل على عدم معرفة جميع اليهود باللغة العبرية. ولم تكن القراءة والكتابة شائعة بسبب اشتغال أغلب أهل المدينة بالزراعة وكان اليهود أكثر اهتماماً للكتابة والقراءة من العرب لكونهم أهل الكتاب ولانشغال بعضهم بالتجارة ولم يعرف العرب من أهل المدينة مدرسة أو كتاباً يتعلمون فيها فن الكتابة وما يتصل بها من معارف غير أن اليهود عرفوا ذلك فكانوا يذهبون إلى المدارس أو ما تسمى الآن بالمدارس لتعلم دينهم.

أما عرب الأوس والخزرج فإن المصادر التاريخية لم تشر إلى وجود كهان أو رجال دين يرعون عبادة الأصنام في المدينة كما لم تذكر شيء عن وجود معبد أو بيوت خاصة لعبادة الأصنام ومن دان بدينهم من أهل يثرب يعبدون مناة ولم يذكر لمناة معبداً ويلاحظ أن المدينة لم تخلوا من رجال ذوي الاهتمامات ثقافية وقد ذكر أن سويد بن الصامت كان يسمى الكامل ((لشعره وجلده وشرفه ونسبه)) تصدى له الرسول() حين علم بقدومه إلى مكة فدعاه إلى الإسلام لكنه لم يستجب للدين الإسلامي على الرغم من قناعته بآيات القرآن الكريم.

وهذا يدل على أن ضعف التزام أهل المدينة بعبادة الأصنام ووجود أناس يدعون إلى التوحيد ويتطلعون إلى مجيء دين الحق فضلاً عن وجود اليهود في المدينة قد هيأ أذهان أهل المدينة لتقبل رسالة الإسلام التي جاء بها الرسول ().

المحاضرة الثانية : هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة

سعى الرسول () بعد أن تمت بيعة العقبة الثانية مع أهل المدينة في السنة الثانية عشر للبعثة على تشجيع أصحابه على الهجرة إلى المدينة قبل أن يهاجر هو بنفسه من أجل توجيه الهجرة والاطمئنان على وصول أتباعه إلى المدينة بسلام. وقد حاول المهاجرون أن يحيطوا أمر مغادرتهم لمكة بجو من الهدوء والسرية كي لا يثيروا حفيظة قريش عليهم فيعمدوا إلى منعهم من الهجرة واضطهادهم، غير أن المحافظة على سرية الهجرة في مدينة صغيرة مثل مدينة مكة كانت أمراً في غاية الصعوبة خاصة وأن بعض الأسر قد هاجرت بأكملها مثل: بني مظعون وبني جحش بن رئاب وغلقت مساكنهم في مكة.

وبعض الأسر منعت أبنائها من الهجرة باستخدام القوة ضدهم وعملت على فتنتهم عن دينهم فعندما تخلف هشام بن العاصي عن الحضور في مكان ووقت محدد اتفق عليه هو وعمر بن الخطاب وعياش بن أبي ربيعة سار كل من عياش وعمر وحبس هشام وفتن.

مارس زعماء المشركين الضغط على المولي والمستضعفين لمنعهم من الهجرة. فصهيباً أراد الهجرة قال له مشركي قريش أتيتنا صعلوكاً حقيراً وتريد أن تخرج بمالك نفسك فقال لهم أرأيتم جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي قالوا نعم فترك المال وهاجر فبلغ الرسول ذلك قال:" ربح صهيب ربح صهيب".

وترتب على الهجرة انقسام بين أفراد الأسرة الواحدة في حالة اختلافهم في العقيدة فقد رفضت زوجات بعض المسلمين ممن كن لازلن على الشرك الهجرة مع أزواجهن إلى المدينة فأمر الله المسلمين طلاقهن ﭽ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﭼ كما أن بعض النساء المؤمنات تركن أزواجهن الكفار وهاجرن إلى المدينة وكان ممن هاجرن من المؤمنات أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وقد قام المسلمون بدفع صداقهما إلى زوجيهما الكافرين.

ولم تكن متطلبات الهجرة سهلة خاصة للفقراء أو الضعفاء، فاضطر بعضهم إلى السفر على قدميه نظراً لعدم وجود راحلة يستيعين بها في سفره. وعلى الرغم من كل المصاعب التي كانت تقف وراء الهجرة وتحيط بها فقدهاجر المسلمون من مكة إلى المدينة وكان عددهم سبعين مسلماً ولم يبقَ أحد من المسلمين إلا من حبس وفتن.

المحاضرة الثالثة : تنظيمات الرسول () في المدينة

كانت المدينة حين قدوم الرسول () بحاجة إلى زرع روح التعاون والسلام بين أهلها في إطار من التقوى وعبادة الله تعالى فعمد الرسول () إلى الدعوة للالتزام بهذه القيم وإشاعتها فتحدث الرسول () بعد وصوله إلى المدينة قوله: " يا أيها الناس، أفشوا السلام وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا الليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام ".

فمنذ الأشهر الأولى لوصوله إلى المدينة قام بإنجازات مهمة على رأسها إزالة أسباب العداء بين الأوس والخزرج، فقد تمكن بمد حبال الوصل بين أسعد بن زرارة من قبيلة الخزرج الذي لم يأتي للسلام على الرسول () لأن الرسول () كان يسكن عند بني عمرو بن عوف من قبيلة الأوس الذين أرادوا الثأر لقتل أحد أبنائهم في حرب بعاث من أسعد بن زرارة، فطلب الرسول () من سعد بن خثيمة أن يجير أسعد بن زرارة وبالفعل تمكن أسعد ان يغدو ويروح الى رسول الله (). وتأسيس مسجد قباء ليكون مكان لأداء فريضة الصلاة فضلاً عن ايجاد مركز عام للمسلمين يجتمعون فيه للتداول في أمورهم العامة وسماع توجيهات الرسول () فبقي الرسول () 4 ايام عند بني عمر وبن عون الى ان اسس مسجده الذي أسس على اساس التقوى كما أشار القرآن الكريم لذلك.

وكان بناء مسجد المدينة ومساكن الرسول () على اثر تنافس عشائر المدينة شرف استضافته في دورها طلب ان يخلوا سبيل الناقة وبالفعل بركت الناقة في الموضع الذي شيد عليه مسجد الرسول () وهذا الموضع مربداً ليتيمين من غلمان المدينة وشارك الرسول () المسلمين في العمل فيه فتجلت روح الوحدة والتضامن بين ابناء المجتمع الجديد، تم بناء جدران المسجد بمادة اللبن وجعل سقفه من جريد النخل اما عمده المسجد من جذوع النخيل وكانت مساحته تعادل 60م2، وقبلة المسجد نحو بيت المقدس لان المسلمين كانوا لايزالون يتوجهون في صلاتهم اليها، وبنى الرسول () الى جانب المسجد مساكن زوجاته وهو عبارة عن غرفة صغيرة قصيرة البناء وجعلها متصلة بالمسجد بحيث يخرج من بيته اليه مباشرة وبعث الرسول () باحضار السيدة فاطمة وام كلثوم بناته وزوجته سودة بنت زمعة، واسامة بن زيد ليتفرغ لإدارة شؤون المسلمين.

عمل الرسول () الى معاملة اصحابة على قدم المساواة، فاستطاع ان يوحد بين المسلمين في اسباب التعاون والمحبة ما توازي او تفوق رابطة الاخوة في الدم وهذا ما يسمى الاخوة في الله، وتتركز اسباب المؤاخاة في رغبة الرسول ان يذهب عن المهاجرين وحشة الغربة ويونسهم من مفارقة الاهل والعشيرة ويشد ازر بعضهم ببعض. اضافة لاسباب اجتماعية تتركز في رغبة الرسول () ان لا يعامل الانصار المهاجرين معاملة الحلفاء لان الحليف وفق التقاليد القبلية اقل من منزلة الابن الصريح فضلاً عن اقامة علاقة تقوم على المساواة والمؤاساة بين المهاجرين والانصار، اما العامل الاقتصادي فيعد عاملاً ثانوياً لان الانصار كانوا يقومون بتقديم المساعدة الاقتصادية لاخوانهم المهاجرين قبل اعلان المؤاخاة، كما وان مبادئ الاخوة العامة بين المسلمين تقوم على المساواة والتعاون والتأزر استمرت قائمة وفق لآيات القرآن الكريم نحو قوله تعالى: ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ.

وبعد وصول الرسول () الى المدينة تحول المهاجرين من اماكن اقامتهم الأولى في بناء وانتشروا في المدينة وتنافس الانصار في استضافتهم في دورهم. ويبدو ان الرسول () قدر ان اقامة المهاجرين على الانصار لا يمكن ان تكون حالة دائمة فسعى الى الحصول على اراضي وتوزيعها على المهاجرين لبناء المساكن لانفسهم.

ويبدو ان المؤاخاة اعلنت والمسجد يبنى لخمسة اشهر بعد وصوله الى المدينة فقد اخاهم في دار أنس ولو كان المسجد قد شيد لكان هو المكان الانسب لمثل هذا الأمر ونظراً لان المسجد أكتمل في حدود الشهر السابع للهجرة فلابد أن تكون المؤاخاة تمت قبل ذلك.